المحاضرة الرابعة

شرح كتاب الإبانة الصُّغرى للإمام ابن بطة رحمه الله تعالى

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا المصطفى محمدًا عبدُ الله ورسوله صلوات الله وتسليماته عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه أمهات المؤمنين وذريّته والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين أمَّا بعد.

مازلنا ـ بحول الله وقوته ـ مع **الشرح والإبانة على أصول الديانة** للإمام العلامة: ابن بطة العُكبريّ الحنبلي رحمه الله وطيَّب ثراه، فلا نزال في الفصل الأول من فصول الإبانة الصغرى، والذي يتعلق بـ (**مسائل الاتِّباع والمنهج**)، ومعلوم أنَّه ـ رحمه الله ـ قد أكثر جدًّا من الآثار عن السلف ـ رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم ـ في تقرير أهمية التزام منهج أهل السنة ومجانبة منهج أهل الأهواء والبدع، وصلنا في الطبعة التي معنا للأثر رقم (٨٨)؛ لأن هناك اتصالًا بين السابق لهذا الأثر والتالي له، يقول هنا :

٨٨- وقال ابن عونٍ :"إذا غلب الهوى على القلب استحسن الرجل ما كان يستقبحه".

٨٩- وقال الفضيل وهو ابن عياض ـ رحمه الله ـ أبو علي الإمام المشهور **:"لايزال العبد مستورًا حتى يرى قبيحه حسنًا"** يعني فيُفتضح، وفي أثر عن حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنه وأرضاه متمِّم لهذا المعنى ـ وطبعًا حذيفة صحابيٌّ جليل كان أمينَ سرِّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- تسليمًا ـ قال:"أول الفتنة أن ترى حلالًا ما كنت تراه حرامًا".

أول الفتنة أن ترى حلالًا ما كنت تراه حرامًا، وهذا الذي عنْوَنَّا له ونبَّهنا عليه في الحلقة الأخيرة من اللقاءات الماضية تحت عنوان:(مداواة المكلوم بتصحيح فهم الأثر المظلوم)، وهو أثر حذيفة وما شابهه من آثار السلف رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم كالآثار التي بين أيدينا هذه، الأثر الأول: أثر عبدالله بن عون ـ وهو من سادات السلف، والذي يقول فيه: "إذا غلب الهوى على القلب استحسن الرجل ما كان يستقبحه"، فهذا معناه استحسان القبيح أو استحسان ما كان يُرى أنه قبيح.

فالفضيل بن عياض يقول:"لايزال العبد مستورًا حتى يرى قبيحه حسنًا" وهي نفس القاعدة (استحسان القبيح)، وورد في أثر حذيفة:"أول الفتنة أن ترى حلالًا ما كنت تراه حرامًا" يعني تحليل الحرام، فبعض الناس متصور أنَّ كلَّ هذا الكلام مُنصَبٌّ على المسائل الفقهية، التي قال فيها أئمة السلف الكبار كأبي حنيفة ومَن نحا نحوه من أئمَّة السلف، أي: نقول القول اليوم ونرجع عنه غدًا، ونقوله غدًا ونرجع بعد غد، فهل هذا القول مسحوب على قول أبي حنيفة؟ لا، فهذا بعيد جدًّا، أو أنَّهُ مسحوب على قول الإمام مالك - رحمه الله - ابن أنس الصُّبَحيّ الإمام الجبل العَلَم صاحب المذهب، إمام المدينة وعالم العلماء عندما كان يقول في المسائل الفقهية:" إنْ نظن إلا ظنًّا وما نحن بمستقينين" وبناءً عليه إذا كانت المسألة ظنًا فيكون الأمر عاديًّا، حيث يصبح الثابت الآن منفيًّا بعد ذلك، والواجب الآن غير واجب بعد ذلك والحرام الآن غير حرام بعد ذلك، فكل هذا من كلام أئمة السلف إشارة إلى منطقة المشتبهات، ومنطقة الاجتهاد والنظر، ومنطقة نقول القول اليوم ونرجع عنه غدًا ونقول غدًا ونرجع عنه بعد غد، فهذا باب مغاير تمامًا للباب الذي نتناوله الآن.

فالذي نتكلم به الآن هو ما كان في (مصادمة المحكمات)، فإذا غلب الهوى على القلب استحسن الرجل ما كان يستقبحه ممَّا كان مُحكَمًا قُبحه، فنقول هنا: المجمع عليه إذا خالفه فقد شقَّ الإجماع وشاقق المؤمنين وخالف سبيل المؤمنين، ويدخل في عموم قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥ ﴾ النساء: ١١٥، ما الذي سيجعله يُشاقق الرسول -صلى الله عليه وسلم- ؟ استحكام الهوى، غلبة الهوى.

والمقصود بالهوى هنا: الأهواء المذمومة وليس الهوى المجرد وهو ميل الإنسان ومُراده، فقد قلنا إنَّ الهوى لم يأتِ في كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- إلا مذمومًا عدا موضع واحد حسْب ما ذكره علماؤنا -حفظهم الله تعالى- ومشايخنا وهو قول السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها لنبينا محمد -صلى الله عليه وسلم-:"ما أرى ربك إلا يُسارع في هواك" وهذا أيضًا ليس على سبيل الاستحسان ولا الاستقباح، بل يعني هذا مُراد النبي -صلى الله عليه وسلم- ، لكنِ الهوى هنا في العرف الغالب في الاستعمال القرآني والسنيّ السلفيّ هو الذمّ والاستقباح.

وعليه فالذم الذي جاء به القرآن وجاءت به السنة وأجمعت عليه الأمة سيكون في المحكمات لا المتشابهات، فكلام ابن عون والفضيل وحذيفة هنا ـ أول الفتنة أَن ترى حلالًا ماكنت تراه حرامًا ـ يعني من المجمع عليه من ثوابت الشريعة، وليس المتشابهات وإلا فأنت تتجه في الاتجاه الخاطيء، ومعلوم أنَّ عبد الله بن عون رجل كانت له صولة وجولة في العلم والعبادة، والزهادة والعمل والفقه عن الله ورسوله -صلى الله عليه وسلم- ، فهو جبل من جبال الإسلام والمسلمين والسبيل والسنة، كما أنَّ زُهَّاد أهل زمان عبد الله بن عون كانوا يدعون الله -عزَّ وجل- أن يصفو لهم يوم من أيام عبد الله بن عون، يعني كبار الزمان في عهد عبد الله كان بعضهم يقول : أتمنى أن ألقى الله بيومٍ من أيام عبد الله بن عون، يعني لو جاء في صحيفة أعمالي يوم سلف لي يوم من أيام عبد الله بن عون فإنني أتمنى عليه الموت؛ وذلك لأنه كان شديد الاجتهاد جدًّا، فكان إذا فاته شيءٌ من ورده لم يستطع قضاؤه؛ وذلك لعدم فراغه وتعدُّد المهام والأعمال، فلا مجال لعمل آخر، فالوقت لديه عامر بالطاعات، فقد شغل أوقاته بالأعمال؛ لذا عدَّه المؤرخون نموذجًا فريدًا في الأعمال الصالحة والحفاظ على الأوقات.

الفضيل بن عياض أيضًا جبل من جبال الزهد والديانة والعبادة وسلامة السبيل والسنة من أئمة المسلمين، فإنه يقول :"لايزال العبد مستورًا حتى يرى قبيحه حسنًا"، فمن عقوبات هذا الاستمراء للهوى، من عقوبات التجرؤ على ثوابت الشريعة، وأنّ الله -عزَّ وجل- يُعاجل عبده بفضيحة، ذلك العبد الذي يُخالف في البيِّنات، والذي يُخالف بعد ثبوت الحجة عليه، فيكون عارفًا بأنَّ هذا كلام ربنا -عزَّ وجل- لا يحتمل تأويلًا وكذلك كلام نبيّنا -صلى الله عليه وسلم- ؛ لأنه إجماع الأمة جيلًا بعد جيل ومع ذلك يمشي في الاتجاه المعاكس، فيُعاجله الله -عزَّ وجل- بالفضيحة.

ولذلك قال مَنْ قال كالحسن وغيره :"ما أسرَّ عبدٌ سريرة إلا وأبداها الله على قسمات وجهه وفلتات لسانه" أي سريرة سوء، فأبدى خلاف ما أبطن من الشر أو السوء فإنَّ الله يبديها على قسمات وجهه وفلتات لسانه، وكما قال الله -عزَّ وجل- في وصف المنافقين: ﴿وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ﴾ محمد: ٣٠، وكما قال الله في الصالحين ﴿ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ﴾ الفتح: ٢٩، كذلك الكذابين سيماهم في وجوههم؛ ولذلك عبد الله بن سلام لما رأى النبي -صلى الله عليه وسلم- في مهجره أوّل مارآه قال : "فلما رأيته علمت أن وجهه ليس بوجه كذاب" فالصدق بادٍ على وجهه -صلى الله عليه وسلم- ، بل

هو إمام الصدق والصادقين صلوات الله عليه، فالعكس بالعكس أيضًا، فالإنسان إذ لم يكن داخله صافيًا مع ربه وليس على السبيل والسنة؛ فإنَّ أمره ينكشف دون أنْ يتكلّم "إلا أبداها الله على قسمات وجهه وفلتات لسانه"، فنسأل الله -عزَّ وجل- لنا ولكم صلاح السر والعلانية.

٩٠-وقال أبو العالية :"آيتان في كتاب الله ما أشدهما على الذين يُجادلون في القرآن

﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ﴾ غافر: ٥، ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ۝١٧٦﴾ البقرة: ١٧٦، ويجب أن تنتبه فالإنسان إمَّا أنْ يجادل في القرآن، وإمَّا أنْ يُجادل بالقرآن، فالأمران مختلفان، فأمَّا الذي يُجادل في القرآن فإنَّه يُشكك فيه، ويطعن بالتماس متشابهاته ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، فيشكك أنّه كلام الله **سبحانه وتعالى**، أو يُشكك في كون أخباره صدق أو أنه عدل في أحكامه، أو يُجادل بالطعن في صلة القرآن بصفات الرب **جلَّ وعلا**، يقول ربنا -**عزَّ وجل**-:﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ غافر: ٤، وليس كل جدال في القرآن كفر بل الجدال من هذا النوع كفر، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ۝١٧٦﴾ البقرة: ١٧٦،اختلفوا في الكتاب فقال بعضهم شعر، وقال بعضهم كهانة، وقال بعضهم دجل، فهنا الجدال في القرآن إمَّا كفر وإمَّا شك، وإمَّا نفاق وإمَّا ضلالة وإمَّا غواية عياذًا بالله.

أمَّا المجادلة بالقرآن فمنها المحمود ومنها المذموم أيضًا، فهي إمَّا صواب وإمَّا خطأ؛ ولذلك قال النبي -**صلى الله عليه وسلم**- تسليمًا:"وأخشى ما أخشاه أو أخوف ما أخافه على أمتي، منافق عليم اللسان يُجادل بالقرآن"، مُنافق عليم اللسان، أي: المنافق الذي يُظهر الدين وليس الذي يُحارب، والذي يلتزم بالقرآن ظاهرًا ولايكفر به ولكنه يُبطن خلاف ذلك، فهو مُنافق عليم اللسان، ولم يقل عليم القلب، بمعنى ثقافة على الفم فقط، فالإيمان لم يُخالط قلبه ولم يختلط بعقله ولحمه ودمه، فكل أمره ظاهريّ، وقوله: "مُنافق عليم اللسان يُجادل بالقرآن" غاية الذم، أمَّا قوله سبحانه وتعالى:﴿وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ۝٥٢﴾ الفرقان: ٥٢، فهذه مُحاجَجَة بالقرآن فتعني إقامة الحجة عليهم بآيات الله -**عزَّ وجل**- وإذا جادلوه بالأهواء جادلهم بالآيات؛ ولذلك ربنا يقول: ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ العنكبوت: ٤٦، وما هو الجدال بالتي هي أحسن؟ الجدال بنصوص القرآن ووحي الله **سبحانه وتعالى**-

إلى نبيه قرآنًا وسنة، فهو جدال صحيح بالقرآن، وهذا كله بعيد عن مصطلح الجدل المتأخر عند المتكلمين، والذي يعتبر علمًا مستقلًّا من علوم الكلام وفلسفة المسلمين ونحوها.

٩١- وقال أرطأة بن المنذر :"لأنْ يكون ابني فاسقًا من الفساق، أحبُّ إليَّ من أنْ يكون صاحب هوى"، ويمكننا أن نعطي هذه الآثار والتي بعدها عنوان (فقه السلف في تربية الأبناء على السبيل والسنة) فنسأل الله -عزَّ وجل- أن يحفظنا وأولادنا وأهلينا من الفسوق والهوى.

وهنا موازنة من باب (ليس الفقيه الذي يعلم الخير من الشر، إنما الفقيه الذي يعلم خير الخيرين وشر الشرين)، فعلى قاعدة شر الشرين يقول أرطأة بن المنذر رحمه الله :"لأنْ يكون ابني فاسقًا من الفساق أحبُّ إليَّ من أنْ يكون صاحب هوى" لماذا؟ لأنه كما علمنا أن البدعة لا يُتاب منها والمعصية يُتاب منها، فالفاسق مهما غلا في فسقه ومهما تعمَّق في هواه واتباع معاصيه وشهواته إلا أنه يأتي يوم ويرجع، فهو على الأقل يرى أنه غير جيد، وأنَّ لديه استشعارًا بالذنب، وهذه هي آثار الإيمان في قلبه، أمَّا صاحب الهوى فهو يتعبد الله في هذه المخالفة، فأنَّى له التوبة؛ ولأجل ذلك سوف نرى من شؤم البدعة فيما بعد في الآثار المنقولة عن السلف أنها تحول بين صاحبها وبين التوبة، فهي سدٌّ منيع بين الإنسان وبين التوبة من اتباع الأهواء والآراء؛ لأنه يرى أن هذا هو الدين، فعليه سيقول لك: أتوب من الدين؟ أتوب من حب النبيّ -صلى الله عليه وسلم- ؟ أتوب من حُبّ ربنا؟ أتوب من الإيمان؟ أتوب من الاستقامة كيف ذلك؟ فهذا سيكون حاجزًا صعبًا وسنرى الآثار آتية بعد ذلك، فهنا من فقه السلف رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم:"إن كنت ولابُدَّ مُبتلى بشرٍّ ففاضل، في الشر خيارٌ" فأنت سترى أحسن الشرَّين وشرّ الشرَّين.

ولا تقلْ: لماذا لا يحب أن يكون ابنه من حملة القرآن ومن محدثي السنة؟ هو لا يوازن بين هذا وهذا، هو يقول الآن هو مُبتلى بشر فأحسن الشَرَّين الفسق؛ إذ هو أقرب إلى التوبة من البدعة، والمعاصي أقرب إلى الرجاء والمغفرة من البدعة كما ستأتي الآثار عن السلف رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم ، وهذا ليس معناه تسويغ الفسوق في الأولاد حاشا لله.

٩٢- وقال أبو اسحاق الفزاري - رحمه الله -**:"لَئنْ أجلس إلى النصارى في بيَعِهم**- جمع بِيعَة وليس بَيعة التي هي صفقة البيع، إنما بِيعَه جمعها بيع – لأن أجلس إلى النصارى في بيعهم دور

العبادة عند النصارى وهي الكنائس - **أحبُّ إلي من الجلوس في حلقةٍ يَتخاصم فيها الناس في دينهم"** يعني:بالجدل المذموم وبالأهواء والآراء التي تُصادم المحكمات البينات، وهذا بخلاف نقاش الناس ومناظراتهم في مناظراتهم الفقهية، فهذا شيء والخصومة في الدين شيء آخر، كما أنَّنا نحاول في باب المناظرات والتعليم والمساجلات الفقهية العلمية أن نبتعد عن الجدل الأهوائي والآرائي، فتبقى المسألة مسألة وصول إلى الحق، فنحن نجلس ونتدارس ونتذاكر مع بعضنا البعض لنخرج بنتيجة؛ لأن أهل الأهواء يُناظرون على الغلبة، وأهل السنة يُناظرون على النصيحة.

فأهل السنة إن كان لابد من المساجلة والمناظرة العلمية أو العقديّة فإنهم يُناقشون على النصيحة؛ لأنه أمامه مريض يُعالجه؛ ولذلك الإمام الشافعي رحمه الله إمام من أئمة أهل السنة قال:"ما ناظرت رجلًا قط إلا ودعوت الله أنْ يُجريَ الحق على لسانه" ولم يقُلْ على لساني فالموضوع معي منتهٍ، وهي سياسة عدم احتكار الأبواق، وهذا هو منهج السلف الصالح فغايتهم النتيجة والوصول للصواب، فأنت أو أنا أو أيّ أحد من السماء أو الأرض، حجرًا كان أم شجرًا قال الحق فالحق أحقُّ أنْ يُتَّبَع، والحكمة كما قِيل ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق الناس بها، فليس بالضرورة أن يحتكرها، أو أنا الذي أقول أو أنَّها خاصة بي وأكون مقترنًا بها في الصورة، إنما الأصل أن أصل إلى النتيجة؛ فلأجل ذلك من أصول المجادلة الفقيهة الصحيحة أو المساجلة العلميَّة بالمعنى الأخفّ والأرقّ والمناظرة الفقهية أنْ تكون على النصيحة وليس على الغلبة.

أمَّا أهل الأهواء فهم داخلون في مصارعة وسباق لإثبات أنفسهم؛ لذلك من آفات علم الجدل عند الكلاميين أنَّهم يقولون:"هو علم أُقِيمَ لمخاصمة الطرف الآخر"، ففكرته وهمّه أن تغلب مَن يقابلك في المناظرة سواءً أكنت مصيبًا أم مخطئًا، فغاية الأمر ألا تخرج مخطئًا محتجًّا بأن مَنْ يناظره كافرًا وأنه مسلم فلابد من تخطئته وهزيمته، وهذا خطأ لأنَّ الحق مقبولٌ ممَّن جاء به كائنًا مَنْ كان، والباطل مردود على صاحبه كائنًا مَنْ كان ، كملكة سبأ عندما قالت:﴿ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ ﴾ النمل: ٣٤، وقال الله مصدقًا إياها:﴿ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ٣٤ ﴾ النمل: ٣٤، والشيطان لما نصح أبا هريرة أن يقرأ آية الكرسيّ ليعتصمَ بها من شرّ الشيطان في ليله إلى الصباح قال له النبيّ -صلى الله عليه وسلم-:"صدقك وهو كذوب"، فنحن عندنا القاعدة:(أنَّني أقبل النصيحة من أيِّ أحد) فلا تقل لي مبتدع لا

آخذ منه الحقَّ، وقد قلت لك من أسوأ صورة وهو إبليس رأس الشر؛ وذلك لشرف الحق وليس لكرامة الناقل، فإن كان هو ليس له قدر، لكن الحق له قيمته وقدره فيُقبل ممَّن جاء به في أيِّ ثوبٍ كان، ولابدّ أن نتربَّى على المعاني هذه فتقبّل الحق من أيِّ حد، وعليه فإنك تخطئ مَن يُخطئ وإن قال كيف تُخطِّئني، فالحق سيف على رأسي وعلى رأس مَن يُخطئ.

فهذا هو المنهج السنيّ السلفيّ الذي تربَّى عليه الناس، والذي تخرج عليه الأجيال ونُطبِّقه عمليًّا، فليس الأمر تبجُّحًا ببعض الجمل والآثار والنقول ونكون أبعد الناس عن قبول الحق من الآخر، فالسلف رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم عندهم المفاضلة وهي نوع من تربية فبناءً عليه نقبل الحق من أيِّ حد، وبناءً عليه أنا أوازن فأقول ـ هنا ـ : لأنْ أجلس إلى النصارى في بِيعهم أحبُّ إلي من الجلوس في حلقةٍ يتخاصم فيها الناس في دينهم " لماذا؟ لأن كفر النصارى بيِّن، والهوى والضلال الذي في أهل الأهواء خَفِيٌّ على كثير من الناس، فلمّا يكون الكفر بيِّنًا والحق ملتبسًا بباطل والأمور مختلطة أيّهما أفضل لديّ؟ فإنّ ربنا ـ عزّ وجلّ ـ يقول: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ البقرة: ٤٢.

٩٣- وقال سعيد بن جبيرٍ :"لَأنْ يصحب ابني فاسقًا شاطرًا سُنيًّا، أحبُّ إليَّ من أنْ يصحب عابدًا مُبتدعًا"، أي: لو أنَّ ابني مصاحب فاسقًا شاطرًا ـ يعني قاطع طريق وليس شاطرًا في الدراسة، فمعنى شَطَرَ قسم الشيء، وقطع الطريق على الناس ـ سُنيًّا أحبُّ إليَّ من أنْ يصحب عابدًا مبتدعًا، وأنبهكم إلى أنَّ هناك محاضرة عالية للشيخ محمد اسماعيل اسمها : قامت وقعدت، يوازن فيها بين أخطاء أهل السنة وحسنات أهل البدع ، فيقول بأنَّ أهل السنة إذا قعدت بهم معاصيهم قامت بهم عقيدتهم، وأهل الأهواء إذا قامت بهم طاعاتهم قعدت بهم عقيدتهم، هذه خلاصة محاضرة : قامت وقعدت، وهذه المحاضرة أصبحت نسيًا منسيًّا فاسمعوها تستفيدوا؛ لأنها محاضرة تربوية جيدة جدًّا، فلعل الإخوة أن يستفيقوا لأنفسهم قبل أنْ تصبح تُراثًا غير موجود.

فقول سعيد بن جبيرٍ :"لَإنْ يصحب ابني فاسقًا شاطرًا سُنيًّا أحبُّ إليَّ من أنْ يصحب عابدًا مُبتدعًا"، وقد قلنا إنّ عبادة أهل البدع من العباءات الزور التي يزخرفون بها مناهجهم ، فالنبي -صلى الله عليه وسلم- ماذا قال في الخوارج؟ كلاب أهل النار، وقال:" لَإن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد وثمود"، وقال:"شر قتلى تحت أديم السماء"، وقال:"تحقرون صلاتكم إلى صلاتهم وصيامكم إلى صيامهم،

يقرؤون القرآن يقولون من قول خير البريّة"، فإذًا هذا ثوب براق يمكن أنَّ الإنسان صاحب الهوى وصاحب المرادات النفسية يُزخرف ضلاله وباطله بالقليل من الخشوع والرقة وحصافة في الأداء الفكريّ، كما أنه رجل جميل التأليف ومتأنق في العبارة ومؤثّر بكتاباته إذ يُبكي مَنْ يقرأها أو يسمعها، ولكن قلبه أسود أو أشد سوادًا من قرن الخروب كما يقولون في مصر.

فهنا كانت الموارزنة بين الشرور فلَأن يصحب ابني من الصحبة فاسقًا شاطرًا سُنيًّا، والمقصود بالسنّيّ مَن كان من عامة أهل السنة منحرف لكنّ عودته قريبة؛ وليس عنده بدعة معينة كبدعة الإرجاء أو الخروج، أو الاعتزال أو الأشعريّة، أو التشيّع أو التصوُّف؛ لأن سواد البدعة لما يتمكّن من القلب فإنه صعب أنْ يرجع، بخلاف الفاسق الشاطر السنيّ؛ فإنَّ نور السنة ونور الإيمان يأتي به يردُّه مرة ثانية إلى الحق، فإذا أُستُتِيب تاب، وإذ خوَّفته خاف، أما صاحب الهوى فصعبٌ أن يرجع.

٩٤- وقيل لمالك بن مغول:"رأينا ابنك يلعب بالطيور !!" وهذا كان نوع من أنواع الإرفاه المبالغ ؛ لأنه كان لعب أولاد الملوك المتفلتين أخلاقيًّا، وقد دخل بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم على بعض خلفاء بني العباس فوجده يلعب بالحمام فقال :" سمعت النبي -صلى الله عليه وسلم- وقد رأى رجلًا يتبع طائرًا فقال :"شيطانٌ يتبع شيطانًا" فأمر الخليفة بالحمام وذبحه، أدبًا مع حديث النبي -صلى الله عليه وسلم- ، وخوفًا من ربِّنا -عزَّ وجل- ، فيجب أنْ تعيش مع الناس وتُغيِّر الواقع بكل بساطة، فهنا يقول **:"رأينا ابنك يلعب بالطيور!!"**، فتقول لمن انشغل ابنه بملهيات العصر التكنولوجي الذي نحياه: **حبذا لو شغلته عن صُحبة مُبتدع.** فهذا فقه عالٍ جدًّا في تربية السلف ، وهناك مؤلف ـ لا يحضُرني اسمه ـ في تربية السلف، كله آثار عن الصحابة والتابعين وتابعي التابعين، يحتوي أبواب التربية المسندة، وهو عوضٌ عن كتب التربية الغربية.

٩٥- وقال ابن شوذب رحمه الله**:"من نعمة الله على الشاب والأعجمي إذا تنسَّكا، أن يُوَفَّقا لصاحب سنةٍ يحملهما عليها؛ لأن الشاب والأعجميّ يأخذ فيهما ما سبق إليهما.** فما الحب إلا للحبيب الأول، فإذا وجد الولد أول صاحب سنة؛ فيصبح صاحبه وسنته وهواه ومزاجه وراحة قلبه مع أهل السنة، والأعجمي إذا دخل الإسلام فوجد نفسه في وسط أهل السنة؛ فتكون السنة هي الدين فكل وقفة أو سكنة تكون تابعة لأهل السنة، فيقول: رأيت الإخوة يفعلون

ذلك، ورأيت طلبة العلم يأخذون كذا يفعلون كذا، ورأيت العلماء، ورأيت أهل المساجد فكل كلمة تُتْرجَم إلى دين عنده، والأمر بالعكس فإن كان أول مرافقة أهل البدعة فلن تستطيع إثنائه عنها أبدًا، والولد الصغير لو أُشرِب حُبّ البدعة من صِغره لن تُثنيه عنها أبدًا إلا أن يشاء الله أمرًا.

٩٧- وقال عمرو بن قيس الملائيّ رحمه الله**:"إذا رأيت الشاب أول ما ينشأ مع أهل السنة والجماعة فارجُه، وإذا رأيته مع أهل البدع فايأس منه"** يعني أنّ البذرة طاهرة طيبة ويرجى نباته وثمرته ولو بعد حين، وإذا رأيته مع أهل البدع فآيس منه، فتجد الولد أول حبه للقبور والحضرات والبخور والطرق والموالد والليالي، أو تجده متأثرًا بعقيدة ابن عساكر الأشعري الجلد، كالمقطع المنتشر الذي يسمع فيه طفل عقيدة ابن عساكر، والناس يقولون ما شاء الله وهم لا يعرفون ما يقول، فالجهل يصنع المعجزات في عصرنا الحاضر، والعجيب أن ترى أكثر الأماكن التي ينتشر بها هذه المقطع الأشعريّ مجموعات الإخوة للأسف الشديد، **فإن الشاب على أول نشوئه.**

وَيَنشَأُ ناشِئُ الفِتيانِ مِنّا ... عَلى ما كانَ عَوَّدَهُ أَبوهُ

وَما دانَ الفَتى بِحِجىً وَلَكِن ... يُعَلِّمُهُ التَدَيُّنَ أَقرَبوهُ

٩٧- قال عمرو بن قيس :"إنَّ الشاب لَيَنشأ فإنْ آثر أنْ يُجالِس أهل العلم كادَ يسلم" كادَ لكثرة الأهواء والآراء، ومعلوم أن هذا كان في عصر السلف ولم يكن هناك حتى الهمغراف، وهو الصورة البدائية للجهاز الإذاعي ذي الأسطوانة الكبيرة الحجم تحتوي على أغنية من عشر دقائق أو نصف ساعة، بالإضافة إلى البوق الضخم وهو ما كان يهتم به السمِّيعة، ولم يكن عندهم قرطاس ليتكلموا فيه، وعمرو بن قيس يستنكر كثرة الأهواء فيرى أنّ الشاب إذا آثر مجالس أهل العلم فإن الخير يأتي منه، **وإن مال إلى غيرهم كادَ يَعطَبُ.** واقرأ في ذلك تفسير قول الله -عزَّ وجل-: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ ﴾ مريم: ١٢، فنبيّ الله يحي بن زكريّا **عليه السلام** من صِغَره هكذا، كان الصبيان يقولون له: هيا لنلعب، فيقول ما للّعب خُلقت، وهو مازال طفلًا صغيرًا تحت السابعة، فهذه من الآثار المروية في نشأة نبي الله يحي بن زكريا عليه وعلى نبيِّنا الصلاة والسلام.

٩٨- وقال حمَّاد بن زيدٍ : قال لي يونسُ :"ياحمادُ إني لَأرى الشاب على كل حالةٍ مُنكرةٍ فلا آيسُ من خيره"، وهذا فقه التربية كيف تحتوي الشباب المنحرف، والشباب البعيد، إذ كيف يحضر لك في الحلقة شاب يلبس سلسلة لكنه جاء لك اختيارًا، فتقول له: لا، والذي يلبس السلسلة كذا وكذا وتقلب الدرس على السلسلة، فستجعله يترك الدين بعد ذلك، فيخلع الإسلام كما يخلعه من عنقه، فهل أنت بهذه الصورة أنكرت المنكر؟!!

أو أنَّ بنتًا حاضرة الدرس مثلًا والرجل يتكلم في مدرج طول بعرض، والبنت لابسة وكاشفة شعرها وداخلة تسمع وبكت، فيقول لها: لم تبكين ستعلقين يوم القيامة من شعرك، فيصدها عن سبيل الله؛ فيجب أن تتعلم كيفيّة التعامل مع النّاس، فلو أنّ مريضًا جاءك أتطرده وتعيِّره بمرضه؟!! فأيُّ فقهٍ هذا وأيُّ عقلٍ هذا؟ فانظر إلى قول السلف " إني لأرى الشاب على كل حالةٍ مُنكرةٍ، يعني من الممكن أنْ يمشي مع البنات أو يتعاطى المخدّرات أو يترك الصلوات ولكنه جاء إليّ هل أرميه؟ فأين مهارتك وصنعتك في التربية، وأين إنجازك في إنكار المنكر؟ أم أنَّك رجل كثير القول لا العمل؟

وأين مهاراتك في تحويل المستحيل ممكنًا، فيجب أن تكون رجاءه، وتحوّله لإنسان مسلم مستقيم وبذلك تكون أنجزت إنجازًا كبيرًا عظيمًا، فالإنجاز الحقيقيّ يكون على الأرض لا مجرد خطب في الهواء تُسمَع وتُقال ولا تُطبَّق فهذا يُحسنه كل أحد، فالتربية الحقيقيّة أنَّك تحتك بالناس وتُغيِّر من هذه المنكرات، فقوله: "إني لأرى الشاب على كل حالةٍ مُنكرة فلا آيسُ من خيره" ثقة في حالتين اثنتين : الأولى: أنَّ الإنسان على الإسلام ليس بملحد، فهو في السنة وفي الجملة ليس بمبتدع، فهو قريب سيأتي غدًا أو بعد غد مهما طال، وثقة في كفاءتك كمربِّي وموجّه ومعلّم وإنسان أنّك ستقدر على تغيير الناس، أمَّا أنّك تعمل على الجاهز وتجد المختارين الجاهزين لتكون شيخًا عليهم!

"إني لأرى الشاب على كل حالةٍ مُنكرة فلا آيسُ من خيره، حتى أراه مُصاحب صاحب بدعةٍ، وعندها أعلم أنه قد عَطِبَ" هنا نخاف عليه لأنه صَاحَبَ صاحِبَ بدعة، حتى لو دخل باكيًا متضرعًا متخشِّعًا متعبِّدًا هكذا دخل في طريق مظلم، إمَّا إذا جاء إليَّ أحد متزيِّنًا بزينة النساء متخلِّقًا بغير أخلاق الرجال بلبس سلسلة أو رباط شعر، والله في بعض الدروس يحضر لي ولد رابط شعره ومسبله لظهره، وهذا درس في العقيدة والقضايا الفكرية، ويجلس منبهرًا بالدرس جدًّا،

وبعد الدرس آخذه في حضني وأسلم عليه وأخبره بأنِّي أنتظر منه رسالة ولا أتكلم عن شعره نهائيًّا، وقد مضى شهر يعرفني وأعرفه ولم أكلمه عن شعره نهائيًّا، والإخوة ينتظرون الشيخ سيكلمه عن شعره الطويل وعن رباط شعره (التوكه) والولد عبقريّ في ردوده وفهمه ومنتبه للكلام، وعند ضرب المثل أجده يجيب دلالة على حضوره الدرس ذهنيًّا من أوَّله إلى آخره.

والأخوة الآخرون الذين لا (توكة) لهم لا طاقة لهم في السؤال من أوَّل الدرس إلى آخره، كالكراسي التي يجلسون عليه تمامًا بخلاف هذا الولد، فهل مثل هذا يُتْرَك؟ لا فلتكن معنا بهيئتك هذه وبرأسك العبقريّ هذا، وهو الآن يسألهم : هل يمكن أن يكون الدرس النصف شهري أسبوعيًّا؟ وهل الشيخ لديه دروس أخرى خارج المحافظة؟ وقد أخبرته أن يظل هنا وأنا أحضر له، ولماذا يفعل هذا ؟ لأننا كسبناه ولعل الله -**عزَّ وجل**- أن ينفع به، وإذا لم يكن فردًا عاملًا في الدعوة إلى الله **سبحانه وتعالى**- فلن يكون عدوًّا لها، وهذا أعظم مكسب تُحصِّله أنّه لا يكون لغمًا في طريقك.

٩٩-قال الحسن :"ما ازداد صاحبُ بدعةٍ عبادةً؛ إلا ازدادَ من اللهِ بُعدًا". أمر عجيب جدًّا، فكلما اجتهد في عبادته المبتدعة ازداد من الله بُعدًا؛ وليس المقصود أنْ يكون صاحب بدعةٍ مثلًا، وبعد ذلك يعبد ربنا على السبيل والسنة من باب ثان فربنا يبعده لا حاشا لله، فليس الأمر هكذا، فنحن نقول إن هو ابتدع في سلك العبادة بدعة عبادية؛ فبدأ يخترع عبادة معينة ويجتهد فيها كمثل رهبانيةٍ ابتدعوها ماكتبناها عليهم، فكلما يعذب نفسه في الرهبانية كلما بعد من ربنا ، أليس كذلك؟ لأن ربنا لم يأمره بهذا.

أمَّا إذا وجدنا واحدًا يصلي على السبيل والسنة وهو صاحب بدعة من نوع آخر؛ فإنه صلاته لا تبعده وإلا كان فهمًا خاطئًا، وكذلك إذا كان يصوم على السبيل والسنة ولديه بدعة؛ فإنَّ صيامه لا يُبعده، حاشا لله، فقد قال النبي -**صلى الله عليه وسلم**- : "إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا شبرًا أو قال ذراعًا..."، فهل هو معين؟ أيّ رجل حتى لو كان عنده خطأ في أمر آخر، وإن كان الأمر يُقصَدُ به المعيَّن فإنّ مقابلها رجل يعمل طاعة ويعق والده، وآخر يعمل طاعة ويكذب مثلًا في بعض الأماكن، وآخر يعمل طاعة وينظر إلى المحرمات فهل لن يُقبل له عمل؟! فهذا عين مذهب الخوارج عياذًا بالله، فقد قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ﴾ هود: ١١٤، هذه قاعدة قرآنيّة.

١٠٠- وقال ابن عونٍ : المجتهد في العبادةِ مع الهوى يتصلُ جَهدُهُ بعذابِ الآخرةِ.
ومثال ذلك الأذكار المبتدعة، فأحدهم يجلس طول الليل يذكر الله - **عزَّ وجلَّ** - باسمه المفرد (الله الله) فقط، فهل هذه قُربى؟ لا، ليست بقُربى، لكنه قد يؤجر من بابٍ آخر، والمضايق الصعبة هذه تخصُّص الراسخين في العلم كابن تيمية - **رحمه الله** -، فلمَّا تأتي وترى كلام شيخ الإسلام في التقرُّب إلى الله ببعض العبادات المبتدعة فإنَّه يقول لك بأنَّه من الممكن أنْ يُؤْجَر لحبّه لله؛ لرغبته في ثواب الله؛ لحرصه على إقامة الدين، وذلك لخوفه من الله لكن هذا ليس له ثواب، فالعمل الفاسد هذا ليس فيه ثواب ولكن القائم أشياء أخرى مأجورة ليست بظاهرة فما بالك لو عمل عملًا سليمًا من جهة ومبتدعًا من جهة آخرى!

وطبعًا نحن أكَّدنا في أوَّل رحلتنا في بداية الكتاب، أنَّ كل هذه الآثار ليست أعظم ولا أقوى ولا أكثر دلالةً من كتاب الله وسنة رسول الله -**صلى الله عليه وسلم**- التي ينبغي التفريق في دلالاتها بين النوع والمعيَّن؛ لأن من المؤكَّد أنَّ بعض الناس بكل تسرّع وسذاجة يقرأ في آثار السلف هذه ويقول لك بأنَّ السلف يقولون هكذا، ومن ثَمَّ يُصنِّف مَن ذهب إلى المولد في بلده، واشترى حلوى المولد والعروسة لأبنائه، بأنَّه مبتدع وينزِّل الأدلَّة كلها عليه،

ويترتب على ذلك أن يكون عبوسًا في وجه هذا الإنسان ذي السبحة، وذلك لماذا؟ لأنَّه ذهب إلى المولد، فلا أهشُّ في وجهه؛ لأنَّ مَنْ تبسَّم في وجه صاحب بدعة فقد أعان على هدم الدين، ففي هذه الحالة ألا نُصنِّف الكلام أولًا: فعندما نتكلم في باب البدع أوَّلًا: يجب نفرق بين النوع والمعيَّن، فكل الذي نعرفه أنَّ هذا كلام حق خرج من حق وهو القرآن والسنة، والسلف لا يتحدثون من عندهم، ثانيًا: نعرف مراتب البدعة، فالبدعة مراتب يوجد بدعة كفر، والتي تنقسم إلى كفر أصغر وكفر أكبر، وكفر نفاق حيث تكون شعبة من شعب النفاق، وهناك بدعة كبيرة من الكبائر، وأخرى صغيرة من الصغائر، وهناك بدعة مكروهة تنزيهًا، فهي مراتب فهل أصنّف الجميع كالبعض؟

يعني الذي يأتي ببدعة مختلف في كونها بدعة أساسًا؛ لأنّ بعض أهل العلم قال باستحبابها والخلاف سائغ مُعتبر، كما يُمكن جواز قول الجمهور، وأنت بتتدين حضرتك بالبدعية فهل يستوي هو ومَنْ يأتي ببدعة كفر متفق عليه، بأيِّ ميزان تزنون، فهذا غلوّ ظاهر جدًّا ومرفوض للغاية، فأولًا هنا

يجب التفريق بين النوع والمعين، ضعها في ذهنك فكل الكلام شيء والشخص الذي أمامي شيء آخر، الناحية الثانية: هل هي بدعة ولا يوجد فيها خلاف، وهو مبتدع في ماذا؟ ويجب أن تزن البدعة حجمها، هل البدعة التي أقمت عليه فيها الحجة بدعة مُتَّفق على النهي عنها أو لا؟ وهل هي من الكبائر أو من الصغائر، وهل هي من الكفر أو ما دون الكفر نسكنها.

وبعد هذا لمَّا نأتي نعالج الزَّجر بالهجر الذي تحدثنا به قبل ذلك، وأشرنا إلى رسالة هجر المبتدع للشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد ، وهنا أسوق لكم كلام شيخ الإسلام فقط، كلام شيخ الإسلام في هذا الباب كلام عظيم جدًّا في معاملة أهل البدع في المعالجة بالدواء المر، هذا الدواء الذي هو الهجر؛ لأن ليس كل إنسان ينفع معه هذا الدواء، وليس كل مجتمع ينفع فيه هذا الدواء، فأنت هجرك كعدمه يعني أنت خاصمتني أو لم تخاصمني أنت ومائة واحد ما المشكلة؟! فهذا ليس له أثر، فأنت بالنسبة لي لا شئ.

فأنت في مجتمع مُنْحَلّ، وآخر إذا أخرجته من المسجد وكشّرت في وجهه لتعاطيه المخدرات من البيت الذي يجاور بابه باب المسجد، فإنَّ لن يخلع الحذاء ويلبسه مرة أخرى، فسيمر للباب الذي بجانبك صعودًا ونزولًا ليتعاطاها في الحمام هذا موضوع سهل له، وبذلك أنت ستطرده من المسجد وتخاصمه فأين يذهب؟ فيجب أنْ تنظر إلى الواقع الذي يعيشه مجتمعك، ألم نقلْ أنَّ كلَّ دواء له أعراض جانبية فكُنْ ذكيًّا، فأولًا: يجب أنْ تُفرِّق بين النَّوع والمعيّن، ثانيًا: تقيس مقدار البدعة التي تَلبَّس بها، وأنه قامت عليه الحجة بها، وبعد ذلك يُهجَر أم لا، وهل هذه الآثار تُسحب عليه أو لا؟ فلست مخوَّلًا بالحكم على أيّ أحد فهذا خطر جدًّا.

١٠١- قال الأوزاعي - رحمه الله - :**"قال إبليس لأوليائه : من أين تأتون بني آدم؟** - فإبليس يفحص إنجازات عمّاله؛ ليعلم أحوال الناس وأحوالهم في التعامل معهم - **فقالوا : مِن كُلٍّ، قال: فهل تأتونهم من قِبَل الاستغفار؟** - يعني أنتم تعطونهم ذنوبًا إذا استغفروا غُفر لهم أو يرون أنه واجبٌ عليهم أن يستغفروا، هذه هي سياستكم في الإفساد، فهل تعملون في هذه الناحية على المعاصي وعلى الشهوات؟ – **قالوا : إنَّ ذلك لشيءٌ ما نُطيقه، إنهم لمقرُّون بالتوحيد، قال : لآتينَّهم من بابٍ لا يستغفرون الله منه، قال: فبثَّ فيهم الأهواء**

والبدع. لذلك كان الفُضَيْل يقول:"البدعة أحبُّ إلى الشيطان من المعصية" لماذا؟ لأنَّ البدعة لا يُتاب منها، فالمبتدع يعتقد بدعته دينًا وقربة فمن أيِّ شئ سيستغفر؟ فالبدعة لايُتاب منها والمعصية مهما عَظُمت يُتاب منها.

١٠٢- وقال سعيد بن عنبسة : ما ابتدع رجلٌ بدعة إلا غَلَّ صَدرُهُ على المسلمين - مِن الغِلّ عياذًا بالله؛ ولذلك نحن نقول: الأهواء لها مردود نفسيّ سيئ، فبُعدُك عن النور الذي جاء به النبي -صلى الله عليه وسلم- قرآنًا وسنة سيوقعك في ظلمات النفس، وظلمات العقل فعقلُك سيكون ظلمات لا تهتدي إلى الحق، وقلبك سيُصبح أسود، فلن تكون رحيمًا بالنّاس قاسيًا جدًّا؛ لذلك لاحظ الأثر في شؤم البدعة - **واختلِجَت منه الأمانة.** أي: انسحبت منه الأمانة فلم يعد أمينًا، وبالتالي لن يكون أمينًا على دماء الناس، ولا على أموالهم وحقوقهم، فتسهل عليه الدماء جدًّا، فيستحل أموال الناس ويخون العهود الناس كما سيأتي، وهذا من شؤم البدعة.

١٠٣- وقال الأوزاعي :"ما ابتدع رجلٌ بدعةً إلا سُلِبَ ورَعُهُ" والورع متعدد المراتب فهناك ورع واجب وآخر مُستحب وآخر مُباح؛ فيكون جريئًا على الحرمات.

١٠٤- وقال الحسن رحمه الله :"ما ابتدع رجلٌ بدعةً إلا تبَرّأ الإيمان منه" وهذا بالنظر إلى المآل؛ لأن البدعة تبدأ صغيرة وتكبر شيئًا فشيئًا فتؤول بصاحبها إلى استحلال الحرمات ثم إلى الكفر البيِّن، وليس كل الناس يصل إلى ذلك ولكن نبيّن الأمر بشكله الكامل، فمَن وضع قدمه على هذا الطريق فإنه عواقبه وخيمة، عواقبه إلى جهنَّم وبئس المصير، وليس بالضرورة أنْ يصل إلى ذلك؛ فنحن نحذّر ونقول لمنْ كان في أوّل الطريق أو على البر أنت قريب العهد بالسنة ارجع، يُمكنك التوبة والرجوع قبل أن تأخذك البدعة إلى الظلام فلا يصل شئ بعد ذلك.

١٠٥- قال ابن عونٍ :"ما ابتدع رجلٌ بدعةً إلا أخذ اللهُ منهُ الحياء وركبَ فيه الجفاء" ولذلك شاهد صاحب التدوينات البذيئة (الهشتاج) لا يوجد عنده أيّ غضاصة أبدًا وهو يقول هذا الكلام السافل، وخاصةً وهو يتديّن به، وأصبح عندهم الآن مدرسة قلة الأدب تدخل في المواقع وتدخل في القنوات الرسمية فتجد الإعجابات وملايين المشتركين لأجل أنَّه أصفق وجهًا وأشد

بذاءةً في اللسان، فيشتم أيَّ أحد لا يهمّه حياء من أيّ أحد، فيقول أيَّ ألفاظ مهما كانت محرجة، ولو كانت تلك الألفاظ من النوع الذي يكون بين الراجل وزوجته في سرير الزوجية، فيتلفَّظ بكلام في مُنتَهى البذاءة ولا مشكلة عنده، فلا يهتم أنْ يكون مُلحدًا أو مكفِّرًا للناس يفعل ما يشاء، قد سُلِبَ منه الحياء ورُكِّبَ فيه الجفاء عياذًا بالله - عزَّ وجلَّ -.

١٠٦- وقال عثمان بن حاضرٍ الأزدِي :"دخلت على ابن عبّاسٍ فقلت:أوصني - انظر إلى وصايا السلف وأنت طالع لأجل أن تخرج من هذا المخرج - **قال : عليك بالاستقامة: اتبع ولا تبتدع.** فالكلام سهل وبسيط ولا يوجد فيه تراكيب وعقد ولا شئ من هذا القبيل.

١٠٧- وقال ابن مسعودٍ – رضي الله تعالى عنه و أرضاه –**:"اتّبعوا ولاتبتدعوا فقد كُفيتم وكل محدثةٍ بدعةٍ وكلُّ بدعةٍ ضلالة".**

١٠٨- وقال طلحة بن مُصَرف - رحمه الله -**:" لا تحدِّث بكل ما سمعت إلا أنْ يكون الذي حدثك على السنة".** فقُلْ يا مَن تقدر على قول الخير والعلم والهدي والسبيل، فلا تدخِّرْ وُسعًا، بلِّغوا عنِّي ولو آية، ولكن أختار وأتبيّن إذا وصلني قول على غير السنة والسبيل.

١٠٩- وقال أبو أدريس الخولاني :" لِأنْ أرى في المسجد نارًا تضطَرِم – تشتعل – **أحبُّ إليَّ من أنْ أرى فيه بدعةً لا تغيَّر".**

١١٠- وقال عطاء :"ما يكادُ اللهُ يأذنُ لصاحبِ بدعةٍ بتوبة" شؤم يُحال بينه وبين التوبة خصوصًا من بدعته، وقد يَتَأَتَّى ذلك الأمر لذنوب أخرى من شؤمها، فهو الآن عمل بدعة صعب أنْ يتوب منها؛ لأنها هوى صعب أنْ يُتاب منه لتديُّنه باعتقادها وفعلها، وعليه يصعب أنْ يتوب من غيرها، وذلك لأنه يرى أنَّه يفعل كل شئ جميل فلماذا يرجع؟!

١١١- وقال ابن عباسٍ :"مَنْ أقرَّ باسم من هذه الأسماء المُحدَثة؛ فقد خلعَ رِبْقَةَ الإسلام مِنْ عُنقِهِ" فما هي الأسماء المُحدَثة؟ الأسماء المناقضة للإسلام والسنة، فالأسماء منها الجائز والمباح والفاضل والمستحبّ، فابن عبّاس لا يقصد هذا؛ ولذلك نحن نتكلم في مسألة التسمية والنسبة الشريفة النسبة إلى السلفية، النسبة إلى الحديث النسبة إلى السنة والجماعة، النسبة إلى الأثر

النسبة إلى العلم، النسبة إلى الفقه النسبة إلى الأصول إلى العقيدة إلى التفسير إلى النحو إلى الشعر إلى آخره ... النسبة إلى التجارة الزراعة إلى بلدة إلى صنعة إلى أسرة، فطالما أنّه اسم ليس فيه قبيح فلا بأس، فما زالت الأسماء شائعة في السلف – رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم –ومازالت النسب مسفيضة فيهم – رضي الله تعالى عنهم – فلا بأس أنَّ الإنسان ينتسب حتى لمذهب فقهيّ ما زال في السلف شائعًا كالشافعيّ والمالكيّ والحنبليّ والظَّاهريّ، والأصوليّ والنَّحْويّ والعروضيّ، والمُفسِّر المُحدّث إلى آخره، مثلها مثل الصناعات العادية كالبزَّاز والبذّار والنّجار والنّحاس والحدّاد والبنّاء إلى آخره كل هذا موجود، والنسبة إلى البلدان كاليمنيّ والمصريّ والحجازيّ والشّاميّ إلى آخره، ولو وصلنا إلى أعلى سنرى المهاجرين والأنصار، والسفينية وأهل بيعة العقبة، وأهل بيعة الرضوان إلى آخره، كل هذه أسماء شاعت ولكنّ الإشكال ليس في التسمية إنما الإشكال أن تكون التسمية قبيحة، أو مناهِضَة للسنّة، أو حسنة يُتَعصَّبُ لها على حق أو على حساب السبيل والسنة.

فإذنْ هنا متى تكون التسمية شاذة أو مرفوضة إذا كانت التسمية في نفسها قبيحة، ربنا قال: ﴿ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ﴾ الحجرات: ١١، ويسمُّون أنفسهم طائفة الفساق العصاة المجرمين الكفار بئس الاسم، كما يسمون أنفسهم المبْتدعة أهل الأهواء عياذاً بالله، كيف هذا؟! هذه تسمية سيئة بئس الاسم، كما يسمون أنفسهم الخوارج، والمعتزلة، والمرجئة، والأشاعرة، كُلّابية الرافضة، الصوفية، والماتريدية أسماء سيئة كلها، هذه عاهات الأسماء كل هذه شُبه، ففي تاريخ السلف يُسجَّل عليك الاسم فيلزمك وتنتهي المسألة، وذلك أيضًا مع اعتبار التفريق بين النوع والمعيَّن، ويجب أنْ تنتبه فليس كل إنسان صوفي مُنتسب لطريقة شاغوري رفاعي قادري نقشبندي إلى آخره أنْ نحكم عليه ويصبح مثلهم وتُحاسبه على كل الذي في الكتب، فهل هو يعرف القراءة؟ فأنت ستحاسبه على الكتب، وهو لايعرف القراءة أصلًا أو هي مكتوبة بلغة هو لا يعرفها، ويقول لك أصل هم من النحشتية الباكستانيِّين في كتابهم الفلاني، فهل رأيت هذا الكتاب أو جاء لك من تحت الأرض ، ولربما شيخ الطريقه لم يطِّلع أو يقرأ هذا الكتاب فضلًا عن الفرد المُنتسِب من وراء وراء.

فإذنْ لابد من التفريق بين النّوع والمعيّن؛ لأن طبعًا الكثير من طلاب العلم جعل نفسه حاكمًا للأسف الشديد لأخذه الكلام من الكتب فصنّف الناس وعمل على هذا ، وهذا أمر خطير، فأنا

أقول لك قد يكون الرجل شيخ طريقة ولايعرف أيَّ شيءٍ عن ثقافة الطريقة ولا فلسفتها، ولابدعها ولا أيَّ شيء نهائيًّا، ويجب أنْ تنتبه أنَّ معظمهم أميُّون لايقرؤون ولايكتبون، وأخذوها بالاحتيال والمأكلة والرياسة، والنسب المحض ومن عائلة فلان ومن باب أنّ الطريقة لا تطلع من العائلة فقط، والموضوع ليس له أيّ عَلاقة بأي شيء مُعْتَبَر، ناهيك عن أن هناك كلام أخف من ذلك كالبدع السُّلوكيّة مثلًا أو البدع العبادية أعني: أمورًا فرعيّة، ولست أنا الذي أسميها هكذا بل هو شيخ الإسلام الذي يقول:"وهذا من البِدَع الخفيفة" وعليه فهناك نماذج كثيرة جدًّا جدًّا جدًّا، ولست من وزنها بل شيخ الإسلام يزنها فيقول:"بدع خفيفة" يعني بمصطلحنا رفايع، فلا تقف على هذه فمن الممكن أنْ تجد عنده مليون باب من الخير يُغمر في بحرها مثل هذا الشرّ، وإذا بلغ الماء القلتين لم يحمل الخبث، فهل هذا مع الأفراد والزعامات، أم أنَّه ليس في النجوم فقط؟ لا هذا في البسطاء الذين هم على باب الله لم يروحوا ولم يأتوا بعد، فنفس الباب واحد، ولا أحد أحب إليه العذر من الله - **عزَّ وجلَّ** - ، وأهل السنة أهل رحمة وهذه من أخلاقهم، فأهل السنة ينصرون الحق ويرحمون الخلق، هذه من الأصول المتوارثة، فمن الرحمة التفريق بين النَّوع والمُعيَّن في مسائل الوعيد كلها، والتكفير والتبديع والتفسيق والوصف بالمعصية إلى آخره.

١١٢- وقال ميمون بن مهران :"إياكم وكلَّ اسمٍ يُسمَّى بغيرِ الإسلام" طيب هل السنة والجماعة فيها غيريّة أو لا يوجد فيها؟ يوجد غيريّة، ولكن هل هي غيريّة مناقضة مخالفة مضادة؟! لا، بل غيرية مؤكدة مثبتة دالّة على الإسلام الحقيقي، فالمهاجرون والأنصار تسمية مغيّرة؟ نعم مغيرة، لكن هل هي مغيِّرة بالمضادَّة والمقابلة يعني الإسلام في ناحية وهم في ناحية؟ لا، بل هم عصب الإسلام، فخلاصة الإسلام المهاجرون والأنصار، كذلك هل تسمية الفقهاء، والمحدثون، والمفسِّرون، والنّحاة تسمية مضادة للإسلام؟!!

إذنْ انتبه من موضوع التسمية؛ لأنّ هناك أسماء ليست مذمومة بل النسبة إليها نسبة شريفة، كالمهاجرين والأنصار والمصلين وأهل الزكاة وأهل الجهاد، وأهل البرّ، وطلبة العلم هذه نسبة، والنسبة إلى البلدان، والنسبة إلى القبائل وإلى العشائر وإلى المهن وإلى الوظائف، وإلى العلوم المادية العادية كالمهندس والدكتور إلى آخره هذا ليس فيه إشكال، أمَّا إذا كان الاسم شريفًا وتعصب صاحبه له كان

التعصُّب مذمومًا وليس الاسم هو المذموم ، فالنبيّ -**صلى الله عليه وسلم**- لـمّا قال:"ذروها فإنها منتنه، أَبِدعوى الجاهلية وأنا بين ظهرانيكم" ماذا كانوا يقولون؟ يا للمهاجرين ويا للأنصار، ولو أزلنا المهاجرين من المصحف والأنصار حذفناها فإنّها مازالت موجودة: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ﴾ التوبة: ١٠٠، إلى أن يُسرى إلى كتاب الله في ليلة فلا يبقى منه حرف، لكنّه الآن مازال موجودًا قرآنًا يُتلَى يُتعبَّد لله به، فالحرف بعشر حسنات إلى أضعافٍ كثيرة، ولن يتغيَّر هذا القانون لكن التعصُّب الذميم للأسماء الشريفة مرفوض، فالنبي -**صلى الله عليه وسلم**- قال:"ذروها فإنها منتنة" بمعنى دعوى التعصُّب الذميم للأسماء الشريفة، فالتسمية الشريفة مازالت كما هي المهاجرين مهاجرين والأنصار أنصار.

١١٣- وقال مالك بن أنسٍ:"لم يكن شيءٌ من هذه الأهواء على عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- **ولا أبي بكر ولا عمر ولا عثمان"** ولذلك لمّا سُئِل - رحمه الله - وقيل له ما علامة أهل السنة؟ قال : الذين ليس لهم اسمٌ يَتَسمَّوْن به، فلا يأتي أحدهم بعد الإمام مالك بثلاثين قرن ويقول لك: لا، لا ينفع أنْ يُتَسَمَّى؛ لأنَّ أهل السنة لايَتسمَّوْن، طيب ولكنَّه يقول أهل السنة! أليس هذا اسم؟! هو يسأل ما علامة أهل السنة؟ هذا اسم أم ليس باسم؟ قال:"الذين ليس لهم اسمٌ يَتسمَّوْن به" ولكن اسمهم أهل السنة فكيف ليس لهم اسم؟ وليس اسم الخوارج اسم المعتزلة لماذا؟ لأن الأصل والسواد الأعظم الذي عليه أهل الإسلام هو الإسلام، الإسلام النقي الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، فلماذا إذًا يَتسمَّى؟ ويخرج علينا جديد ومخالف يمشي في الاتجاه المضاد لعمل فرقعة أو (Show) إعلاميّ ليُعرَّف وسط الناس وما هو إلّا نكرة أتباعه نكرات، فَيُسَمَّوْنَ أنفسَهم الخوارج الوعيدية المحمرة المصفرة، والأسماء هذه كلها موجودة في الكتب، فأنت تقرأ في (تلبيس إبليس) لابن الجوزي تجد أسماء عجيبة وغريبة لأهل الأهواء، فعندما يقول الإمام مالك:" ليس لهم اسمٌ يَتسمَّوْن به" لأنَّهم لا حاجة لديهم إلى التسمية فلا يحتاجونها أصلًا؛ لأننا نحن الأصل والمُخالف هو الذي يَتَسَمَّى، إذًا أهل السنة هم الأصل، أهل الحديث هم الأصل، أتباع السّلف هم الأصل، وهم الآن أصبحوا غرباء في عصرهم.

١١٤- وقال مالك بن مِغول :"إذا تسمَّى الرَّجلُ بغير الإسلام والسنّة فألحقْهُ بأيِّ دينٍ شئت" أي: مآلًا لا حالًا، يعني: هي تصل معه لهذا، وانظر الآثار الآتية، ونحن قلنا إنَّ مالك بن مِغْوَل ومالك بن أنس – رضي الله تعالى عنهم و أرضاهم –، وسائر السلف يقولون بأنَّ السنيَّ ليس بحاجة إلى التسمية؛ لأن كلنا على السبيل والسنة، وهذا هو الأصل، حتى ظهرت الأهواء وانتشرت فتَسَمَّى أهل السنة بأهل السنة، وتسمَّى أتباع السلف بأتباع السلف؛ وذلك لمَّا زاحمهم المتكلمة من أتْباع أبي حسن الأشعريّ على النِّسبة إلى أهل السنة والجماعة أصحاب الإمام أحمد، فأخذوا تسمية خاصة لأجل أن يقولوا لا، فنحن الاسم العام، وهذا لم يعد يكفي فسنقول أتباع السلف أهل السنة أتباع السلف شرطة، فالآخرون سمّوا أنفسهم بأتباع الخلف أو بالخلف، فإذًا أنتم من طريق ونحن من طريق، وهذه ليست مجرد تسمية بل لها دلالات منهجية وليس الأمر اسمًا وانتهى.

فالتسمية بلا دلالة مرفوضة، فهل من الحق أن تُسمِّيَ نفسك أهل السنّة وأنت لا يوجد عندك شئ من السنّة، وفلان يُسمِّي نفسه أشعريًّا ولا يعرف عن الأشعرية شيئًا، فهل يُمكن أن تحكم بأشعريته وهو لا يعرف عنها شيئًا أصلًا، فنحن نقول هذه أسماء أعلام على دلالات إذا كانت موجودة فأهلًا وسهلًا.

١١٥- قال عطاء بن رباح :"إنَّ فيما أنزل الله - عزَّ وجلَّ - **على موسى** عليه السلام**: لا تجالس أهل الأهواء؛ فيُحدثوا في قلبك ما لم يكن"** فتخيّل من عهد التوراة وموسى –عليه السلام– والتحذير من أهل الأهواء مطلب توراتي.

١١٦- وقال أبو قلابة :"ما ابتدع قومٌ بدعةً إلّا استحلُّوا فيها السَّيْف" واعتبِرْ بحال الخوارج مبتدعة الكوفة فلا يزال الجماعة يلعبون في منطقة الذِّكر الجماعيّ، فهي بدع خفيفة لكنَّ الموضوع تطوّر إلى أنْ قاتلوا عليًّا في يوم النَّهْرَوَان، أليس أبو موسى الأشعري يقول:"دخلت مسجد الكوفة فوجدت فيه أناسًا حِلَقًا وعلى رأس كل حلقة رجل وبين أيديهم حصىً، ويقول كبِّروا الله مائة فيكبروا، واحمدوا الله مائة فيحمدون ـ وفي نهاية المشهد قال ـ : إنّكم لعلى ملةٍ أَهْدَى من مِلة محمّد ـ صلى الله عليه وسلم- أو مُفتتحوا باب ضلال" ثم يقول أبو موسى:"فرأيت أكثر هؤلاء ممَّنْ يُطاعنوننا يوم نهروان، هم هؤلاء بوجوههم، وأصبحوا هم الخوارج" فالموضوع بدأ بالذكر الجماعي.

١١٧- **وقال أبو قلابة:" قال الله** - عزَّ وجلَّ -: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ الأعراف: ١٥٢، **هي جزاء كل مُفترٍ إلى يوم القيامة.** كلٌ بحسبه.

١١٨- فهنا سنختم بأثر **أبي قلابة** - رحمه الله -:**"إنّ أهل الأهواء أهل ضلالةٍ ولا أرى مصيرهم إلّا إلى النار، فجربهم فليس أحدٌ منهم ينتحل رأيًا أو قال قولًا فيتناهى دون السيف ــ** فبدأت المسألة بالدولة الإسلامية دولة الخلافة دولة الإسلام بالعراق والشام، وبعد ذلك ذبحوا الناس كلهم، فالسلف يفهمون المنهج من أين يبدأ وإلى أين ينتهي - **وإنَّ النفاق كان ضُروبًا، ثم تلا** ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ﴾ التوبة: ٧٥، وقوله ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ التوبة: ٥٨، وقوله ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ ﴾ التوبة: ٦١، **واختلف قولهم واجتمعوا في الشك والتكذيب، وإنَّ هؤلاء اختلف قولهم واجتمعوا في السيف ولاأرى مصيرهم إلا إلى النار.** ولذلك قال النبيّ محمد -صلى الله عليه وسلم- :"الخوارج كلاب أهل النار".

نسأل الله ـ عزَّ وجلَّ ـ لنا ولكم العفو والعافية، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.